

تفسير ابن كثير

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ

(وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال بعضهم : يعني : وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم

أنكم تكذبون ، أي : تكذبون بدل الشكر . وقد روي عن علي ، وابن عباس أنهما قرآها : "

وتجعلون شكركم أنكم تكذبون " كما سيأتي . وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم بن

عدي : أن من لغة أزد شنوءة : ما رزق فلان بمعنى : ما شكر فلان . وقال الإمام أحمد :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن

علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (وتجعلون

رزقكم) يقول : " شكركم (أنكم تكذبون) تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، بنجم كذا

وكذا " . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مخول بن إبراهيم النهدي - وابن

جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن عبيد الله بن موسى ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن

يحيى بن أبي بكير ، ثلاثتهم عن إسرائيل به مرفوعا . وكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن

منيع ، عن حسين بن محمد - وهو المروزي - به ، وقال : " حسن غريب " . وقد رواه

سفيان ، عن عبد الأعلى ، ولم يرفعه . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : " وتجعلون شكركم أنكم تكذبون " . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس . وقال مالك في الموطأ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . " قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا . فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب " . أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود ، والنسائي ، كلهم من حديث مالك به . وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادي ، وعمرو بن سواد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " ما أنزل الله

من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الغيث ، فيقولون :
بكوكب كذا وكذا " .تفرد به مسلم من هذا الوجه .وقال ابن جرير : حدثني يونس ،
أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن
أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله ليصبح
القوم بالنعمة أو يمسئهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا " . قال
محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد
سمعنا من أبي هريرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو
يستسقي ، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس ، يا عم رسول الله ، كم بقي
من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا . قال : فما
مضت ساعة حتى مطروا .وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه
العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ؛ فإن هذا هو المنهي عن
اعتقاده . وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله : (ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها) [فاطر : 2] .وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن

إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا -
ومطروا - يقول : مطرنا ببعض عشانين الأسد . فقال : " كذبت ! بل هو رزق الله " . ثم
قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصراري ، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي
، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : " ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين " . ثم قال : " (وتجعلون رزقكم
أنكم تكذبون) يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا " . وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا :
" لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المجدح " . وقال مجاهد : (
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ،
يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه ، وهكذا قال الضحاك وغير واحد . وقال قتادة :
أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب
. فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال
قبله : (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)